

القس الجري بال نيمة درس في كلية الشريعة بدمشق:

«ترجمة أعمال الغزالي عمل شاق لكنني أحب ذلك»

□ بودابست - ثائر صالح

تُعرفت على بال نيمة Pál Németh عن طريق أحد معارفه الذين تحدثوا عن رجل الدين البروتستانتي الذي ترجم مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة إلى اللغة المجرية، اتصلت به واتفقا على اللقاء في مكتبة الجامعة البروتستانتية في بودابست حيث يعمل.

عندما دخلت، واجهت رجلاً ضخماً في أوائل أربعينياته، بذقن كث. أهلاً وسهلاً، قالها بعربية سليمة خالية من أية لكة أجنبية. دخلنا مكتبته المتواضع المليء بالكتب، بينها نسخ من العهدين القديم والجديد بمختلف لغات العالم. كنت قد قررت زيارته للتعرف عليه، وقدرت أن نصف ساعة كافية لتعارف من هذا النوع. غير أن لقائنا الأول دام لأكثر من ثلاث ساعات، وتركته بعد أن نهضت عن الكرسي للمرة الثالثة وقدمته وقد أصبحنا صديقين حميمين.

تحدثنا عن المستعربين المجرين، وعن تعلمه اللغة العربية التي اتقنها بشكل جيد الإيجاب، كما تحدثنا عن الإمام الغزالي وابن رشد والمتصوفين وكيفية الشريعة في دمنج حيث درس لسنة ونصف السنة. ثم عن سيره ولغته المجرية، ويعد في الترجمة متعبة لا توصف. ذات مساء تحدثت معه على الهاتف، فسلني كيف تترجم وتختب وتخلط، إلى المجرية، فقد احترت في طريقة نقل طعم الكلمات التي المجرية، وكان الحديث يدور عن كتاب الغزالي الذي لم يترجم إلى أي لغة أوروبية لحد الآن. وقد أجز منه جزءاً سيصغر قريباً في واحدة من المجلات الدورية المجرية.

درس نيمة اللغة العربية في جامعة لوراند أُنشئ للعلوم في بودابست، قسم اللغات السامية العربية، ثم ذهب إلى سورية في بعثة لسنين (١٩٧٩ - ١٩٨٠). وترسل الجامعة طلاب اللغة العربية المجرية عادة إلى بلد عربي أثناء فترة الدراسة، فيكون مهمم الأول المتربين على المحادثة والكلام غير أن أساتذ نيمة، البروفيسور سنجيدني، نصحه بدراسة التاريخ أو الأدب أو أي شيء آخر في الجامعات العربية والاستفادة من الوقت في جانب الدراسة في مدرسة الشريعة العربية. وأتم نيمة مدرسة اللغة بدرجة جيد، بالرغم من أنه كان يعاني كثيراً من مادة الإملاء. ولما كانت حصص الدراسة تبدأ بعد الظهر، كان نيمة يقضي الصباح في المذاكرة. وكان يقضي صحيفة يومية، ويختار منها مقالة فيبحث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات كتبهن الله على الصادق، من أتى بهن يتبعهن أين كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد أن يدخله الجنة، وإن شاء عبده وإن شاء أهله الجنة.

| المدينة | الفجر | الشروق | الظهر | العصر | المغرب | العشاء |
|-----------------|-------|--------|-------|-------|--------|--------|
| مكة المكرمة | ٤:١٩ | ٥:٤٠ | ١٢:١٨ | ١٥:٣٧ | ١٨:٥٢ | ٢٠:٢٢ |
| المدينة المنورة | ٤:١٢ | ٥:٣٤ | ١٢:١٨ | ١٥:٤٣ | ١٨:٥٧ | ٢٠:٢٧ |
| القدس المحتلة | ٣:٠٨ | ٤:٤١ | ١١:٣٧ | ١٥:١٦ | ١٨:٢٩ | ١٩:٥٥ |
| ابو ظبي | ٤:١٣ | ٥:٣٥ | ١٢:١٨ | ١٥:٥٥ | ١٨:٥٧ | ٢٠:١٥ |
| المنامة | ٣:٢٤ | ٤:٤٩ | ١١:٣٥ | ١٥:٠٥ | ١٨:١٨ | ١٩:٣٧ |
| الجزائر | ٣:٥٩ | ٥:٢٩ | ١٢:٤٦ | ١٦:٣٣ | ١٩:٤٨ | ٢١:٢٢ |
| الخرطوم | ٤:٠١ | ٥:١٧ | ١١:٤٦ | ١٥:٠١ | ١٨:١٢ | ١٩:٢٣ |
| الكويت | ٣:٢٨ | ٤:٥٤ | ١١:٤٤ | ١٥:٢٤ | ١٨:٣٦ | ١٩:٥٧ |
| الرباط | ٣:٤٩ | ٥:٢٤ | ١١:٤٨ | ١٥:٢٨ | ١٨:٤١ | ٢٠:٥١ |
| الرياض | ٣:٤٥ | ٥:٠٦ | ١١:٥٠ | ١٥:١٦ | ١٨:٣٠ | ٢٠:٠٠ |
| الذوقة | ٣:٣٣ | ٤:٤٦ | ١١:٣١ | ١٥:٠٨ | ١٨:١١ | ١٩:٣٠ |
| القاهرة | ٣:٢٢ | ٤:٥٠ | ١١:٥٢ | ١٥:٣٠ | ١٨:٤١ | ٢٠:١١ |
| بيروت | ٣:٠٠ | ٤:٣٥ | ١١:٣٥ | ١٥:٠٢ | ١٨:٢٢ | ٢٠:٠٠ |
| بغداد | ٣:٣٧ | ٥:٠٠ | ١٢:٠٠ | ١٥:٥٤ | ١٨:٥٥ | ٢٠:٢٢ |
| نونس | ٣:٠٣ | ٤:١١ | ١٢:١٦ | ١٥:٠٦ | ١٨:١٨ | ٢٠:٥٢ |
| جيبوتي | ٤:٢٧ | ٥:٤٢ | ١٢:٥٠ | ١٥:٢٢ | ١٨:٥٥ | ١٩:٣٤ |
| دمشق | ٣:٥٩ | ٥:٢٤ | ١١:٣٣ | ١٥:١١ | ١٨:٢٧ | ١٩:٥٦ |
| بيي | ٤:٠٨ | ٥:٣١ | ١٢:١٦ | ١٥:٤٣ | ١٨:٥٦ | ٢٠:١٥ |
| صنعاء | ٤:١٥ | ٥:٣١ | ١٢:٠١ | ١٥:١٥ | ١٨:٢٦ | ١٩:٣٧ |
| طرابلس الغرب | ٣:٣٢ | ٤:٥٦ | ١٢:٥٤ | ١٥:٢٤ | ١٨:٥٩ | ٢٠:٢٦ |
| عمان | ٣:٠٦ | ٤:٣٨ | ١١:٣٣ | ١٥:١٥ | ١٨:٢٦ | ١٩:٥٢ |
| مسقط | ٤:٠٠ | ٥:٢١ | ١٢:٠٣ | ١٥:١٦ | ١٨:٤١ | ١٩:٥٧ |
| مقدشو | ٤:٣٢ | ٥:٤٥ | ١١:٥٦ | ١٥:١٨ | ١٨:٠٣ | ١٩:١١ |
| نواكشوط | ٥:١١ | ٦:٢٨ | ١٣:٠١ | ١٦:١١ | ١٩:٣٠ | ٢٠:٤٤ |
| انقرة | ٣:٤٥ | ٥:٢٨ | ١٢:٤٦ | ١٥:٠٦ | ١٨:١٦ | ١٩:٣٧ |
| البنا | ٣:١٧ | ٤:٥٤ | ١٢:٠٠ | ١٥:٠٤ | ١٨:٠٠ | ٢٠:٣٢ |
| البنيا | ٣:٣٠ | ٤:١٤ | ١٢:٢٢ | ١٥:١٤ | ١٨:٠٠ | ٢٠:٣٢ |
| برلين | ٣:١٧ | ٥:١١ | ١٢:٠٣ | ١٥:١٥ | ١٨:٠٢ | ٢٠:٢٨ |
| بروكسل | ٣:٥٧ | ٥:٥٤ | ١٢:٣٩ | ١٥:٤٩ | ١٨:٢٢ | ٢٣:١١ |
| باريس | ٤:٠٩ | ٦:٠٩ | ١٣:٤٨ | ١٥:٥٥ | ١٨:٣٣ | ٢٣:١٥ |
| جنيف | ٣:٥٩ | ٥:٠١ | ١٢:٣٣ | ١٥:٠٣ | ١٨:٠٢ | ٢٠:٥٢ |
| روما | ٣:٥٥ | ٥:٤٨ | ١٣:٠٧ | ١٥:٤٤ | ١٨:٢٢ | ٢٠:٥٧ |
| ساريليفو | ٣:٢٠ | ٤:١٩ | ١٢:٤٣ | ١٥:١٤ | ١٨:٠٣ | ٢١:٥٦ |
| ستوكهولم | ٣:٢٨ | ٤:١٦ | ١٢:٤٦ | ١٥:١٦ | ١٨:٠٤ | ٢٢:٤١ |
| كوبنهاغن | ٣:١٣ | ٤:٠٠ | ١٢:٣٧ | ١٥:١١ | ١٧:٥٣ | ٢٢:٤٩ |
| لندن | ٣:١٤ | ٤:٠٩ | ١٢:٥٨ | ١٥:٠٧ | ١٧:٥٧ | ٢٢:٣٠ |
| مريدي | ٣:٠٩ | ٤:٠٩ | ١٢:١١ | ١٤:١١ | ١٧:٢٢ | ٢٣:٠٤ |
| نيقوسيا | ٤:٠٣ | ٥:٤١ | ١٢:٤٣ | ١٥:١٦ | ١٩:٤٢ | ٢١:١٤ |
| واشنطن | ٤:٠١ | ٥:٥١ | ١٣:٥٥ | ١٦:٥٥ | ٢٠:١٢ | ٢١:٥١ |
| اوتوا | ٣:٢٨ | ٤:٣١ | ١٣:٠١ | ١٥:٠٢ | ١٧:٠٢ | ٢٢:١٩ |

* تقويم المركز الاسلامي في أختن - ألمانيا. ** يرجى مراعاة التوقيت الصيفي.

العهدين القديم والحديث، وعلاوة على العربية بنقن نيمة اللغات العبرانية القديمة والآرامية (السريانية) واليونانية الكلاسيكية واللاتينية التي جانب بعض اللغات الأوروبية الحديثة، ويستعملها في أبحاثه ودراساته.

ترجم نيمة إلى اللغة المجرية «كتاب الأربعين» الذي يضم ٤٢ من الأحاديث النبوية الشريفة، وهي المجموعة التي انتقاها يحيى بن شرف الدين النووي (ولد في قرية النوى بالجزولان العام ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، وصدرت الترجمة الأنيقة والمفهومة بالنسبة للقارئ والمفهوم الذي لم يتعود على المصطلحات المستعملة في التراث العربي الإسلامي في كتيب صغير جميل. ووضوح اللغة هي إحدى أهم حسنات هذه الترجمة التي برزت ترجمات سابقة للحديث الشريف أنجزها مستعربون مجريون على امتداد أكثر من قرن من الزمن. وقد ترقى المستشرق المجرى الكبير إغناش جولنر هو مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة كملحق لكتابه «دراسات في تاريخ الدين الإسلامي» الصادر في العام ١٨٨١، أشار فيها إلى كتاب الأربعين المذكور.

ويترجم نيمة الآن عمل الإمام الغزالي «المقصد من الضلال» إلى اللغة المجرية، ويعد في الترجمة متعبة لا توصف. ذات مساء تحدثت معه على الهاتف، فسلني كيف تترجم وتختب وتخلط، إلى المجرية، فقد احترت في طريقة نقل طعم الكلمات التي المجرية، وكان الحديث يدور عن كتاب الغزالي الذي لم يترجم إلى أي لغة أوروبية لحد الآن. وقد أجز منه جزءاً سيصغر قريباً في واحدة من المجلات الدورية المجرية.

بدأ بالاستماع إلى المحاضرات التي كانت تلقي في الكلية، تفسير القرآن والحديث، وكان الطلبة ذكراً ولطيفين معه، إذ تعلم الكثير منهم وأساعدهم، واجتهد في لا يفعل ما يتعارض مع العادات والتقاليد وهو الجاهل بها. مثلاً لم يمس القرآن الكريم بل كان ينقله في كيس ثم يطلب من زميله الجالس بجانبه أن يخرج منه الكيس ويفتحه أمامه، وارتكب يوماً حماقة، عن غير قصد، عندما وضع دفتره على المصحف دون أن ينتحبه، بعد أن نظراته التي لم تبهته إلى الخطأ. امتدح نيمة نيمة في مدرسة الشريعة العربية، إلا بالانضباط الراقي، وحدثني عن هطول ثلج غزير غير معهود في دمشق في أحد الأيام الربيعية من آذار (مارس) العام ١٩٨٠، فبدأ الجميع بالتقارب بالكرات الثلجية، حتى الشرطة والباعة أسهموا في هذه المعركة المرحة، إلا طلبه كلية الشريعة الذين ساروا إلى الجامعة لحضور الدروس بكل وقار وجدية.

ويتذكر أساتذته في كلية الشريعة بكل تقدير: نور الدين عطر الذي درس الحديث الحديث (ويذكر محاضراته في علوم القرآن والسنة وكتابه «معجم المصطلحات الحديثية») والدكتور سعيد رمضان البوطي ومحاضراته في فقه السيرة والمصالح المرسله في التشريع الإسلامي، والدكتور عدنان زرزور ومادة نظام الإسلام (العقيدة والعبادة)، بالإضافة إلى عميد الكلية السلفيني ومحاضراته في فقه العبادة، وكان نيمة يستمع إلى المحاضرة الواحدة مرتين، في الصباح وفي المساء، ولكي يتقن اللغة العربية كان يدرس كثيراً، وساعده زملاؤه الطلبة السوريون في ذلك وهو ممتن لهم كثيراً.

عن صعوبة الترجمة من العربية إلى اللغة المجرية قال نيمة: «اللغة الدينية والثقافة المجرية تختلف كثيراً عن مثيلتيهما في البلدان العربية، فالمصطلحات المستعملة هنا تدور في فلك الديانتين اليهودية والمسيحية، وهنا تكمن صعوبة ترجمة النصوص العربية إلى اللغة المجرية. فالمصطلح المستعمل في البلدان العربية حتى وإن ترجم إلى ما يقابله في المجرية بدقة، فإنه يعني في وجدان الناس شيئاً آخر، أو قد لا يعني شيئاً على الإطلاق. والإسلام غائب عن الثقافة المجرية، لذلك لا يوجد للمصطلحات الإسلامية مقابل في اللغة المجرية، والعكس صحيح. على المجرية، كلمة فيولوجيا، مصطلح شائع هنا لكنه لا يعني شيئاً بالنسبة للإسلام، بالمقابل لا يمكن نقل محتوى مصطلح عربي يومي الاستعمال مثل «الشريعة» إلى اللغة المجرية بكلمة واحدة واضحة المعالم.

غير أن الظاهرة الأكثر تعقيداً هي اللغة المستعملة في بعض الطوائف المسيحية العربية. فاللغة الدينية تختلف هناك عن اللغة العربية المستعملة لدى المسلمين. وقد تعودت خلال إقامتي في دمشق حضور قداس الأحد للكنيسة الإنجيلية، وهي كنيسة حديثة العهد. وقد صادفت

الخميس ١٣ أيار (مايو) ١٩٩٩ الموافق ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ/ العدد ١٣٢١٤ AL HAYAT THURSDAY 13, MAY, 1999 ISSUE NO 13214



بال نيمة.

هناك الكثير من التعابير غير المعتادة: مثلاً، لا يقول القس الحمد لله، بل الشكر للرب. وهناك فارق كبير بين التعبيرين، فحمد الرب هو تعبير أجمل من الشكر وأوسع في معناه. كما كان الأخ فريد (وهو اسم القس) يسأل الناس عند مصافحته المصلين قبيل مغابرتهم الكنيسة: «كيف أنت مع الرب؟» وهو سؤال استفهه كثيراً، وما تعوت الإجابة عليه. إذ وجدت فيه نوعاً غريباً من أنواع العلاقة مع الرب، علاقة غير متكلفة، يجري فيها التعامل مع سبحانه كأنه أحد الأتراب، من ذلك أجبه ذات يوم عند صدور السؤال المعتاد: «ماشي الحال»، فأنزع الأخ فريد، كيف تقول ذلك، أجبت: وكيف تسأل ذلك! لا يمكن تصور مثل هذا الخطاب مع الرب عند المسلمين، ولا نستطيع تصويره هنا في المجر أيضاً كبروتستانتين».

عند ترجمة المصطلحات الدينية إلى المجرية يجب أن نأخذ خصوصياتنا بنظر الاعتبار. ومن الصعب على المترجم ترجمة كلمات أساسية إلى اللغة المجرية المتميزة بثقافتها المسيحية، ومنها «الكفر» و«الإلحاد»، كذلك «الحديث» و«السنة» بكلمة مقابلة لها. وكل هذه الكلمات تترجم بالتقريب مع شيء من التعليق لتوضيح معناها الدقيق. ومن الصعب التمييز في اللغة المجرية بين الحديث والسنة، إذ لا يوجد مصطلح واضح للمعالم، وعلم الاستنبات حسافل بالمفاجات. «خذ مثلاً كلمة الدين، أو تأمل الحديث الشريف الدين النصيحة»، هل يمكن تفسير هذا الحديث بالمفهوم اليومي المعتاد للنصيحة كما فعل جولدنزيهر في ملحق كتابه؟ إذ انتبهنا إلى معنى كلمة الدين في اللغة المجرية valls، فهي تعني تصريح المرء بما يعتقد، وهذا هو جوهر معنى كلمة نصيحة في الحديث النبوي الشريف. أما في اللغة العربية، فكلمة الدين تعني الحكم أو القضاء كما هو معروف، أسوة بباقي اللغات السامية».

من آراء نيمة حول الإسلام وأوروبا ينتقد نيمة الكثير من الآراء التي اعتنقتها المسيحية بصدد العلاقة مع الإسلام طوال قرون عديدة، ومنها الموقف من الإسلام. نهاو يعتبر الحروب الصليبية نتاجاً للتعصب والتطرف الديني الأوروبي الذي أضر بالعلاقة بين المسيحية والإسلام. ويؤكد على أن التسامح الديني كمصطلح فلسفي ظهر في أوروبا قبل بضعة قرون، لكنه ميز تعامل الإسلام مع الأديان السماوية قبل ذلك بكثير. «عاشت الكنيسة المسيحية الأولى، الكاثوليكية والأرثوذكسية» في خمس كنائس كبيرة يرأس كل منها بطريركاً. ومراكز الكنائس الخمس هي روما وكونستانتينابوليس (١) والإسكندرية وأنطاكية والقدس (بحسب الأهمية). ومن بين الكنائس الخمس أخذ الإسلام ثلاثاً في أول نجاح له، بعبارة كبرى: «قلص من نفوذها لدرجة كبرية». وقامت كونستانتينابوليس العديد من الحصارات لغاية سقوطها في عام ١٤٥٣. وبقت روما لوحدها سداً روحياً - فكرياً لأوروبا المسيحية. ولم يتمكن الإسلام من البقاء لفسترات طويلة في أراضي الكنيسة الكاثوليكية سوى مرتين، الأولى في اسبانيا (٧١١ - ١٤٩٢) والثانية في المجر (١٥٢٦ - ١٦٨٦). وفي اسبانيا أنتج المسلمون حضارة مزدهرة، أما في المجر فقد تسبب العثمانيون في خسائر قبيحة».

ويدين الكاتب الحروب الصليبية، فيقول «لم يسترح ضمير أوروبا بسبب التحصن والتطرف الديني اللذين ظهرا في الحروب الصليبية». ويذكر المسلمون بالم الكثير من القسوة والغف اللذين تعين عليهم تحملهما بسبب الحملات الصليبية».

«التسامح الديني، أو ما يعرف باللاتينية tolerantia، هو مفهوم أوروبي خاص. وفكرة التسامح، وممارسته قديمتان، وهما موجودتان خارج أوروبا أيضاً. بيد أن التسامح الديني كتعبير فلسفي لم يظهر ولم يتخذ شكله الخاص إلا بعد عصر الإصلاح الديني في أوروبا وانتشار الفكر الإنساني. ويعتبر كتاب جون لوك Epistola de John Locke tolerantia (١٦٨٩) أساس كل ما وصلت إليه (أوروبا في موضوع التسامح الديني وما تمكنت من تحقيقه».

«لا يمكن الحديث عن التسامح الديني بالمفهوم الأوروبي في الدين الإسلامي، لكن ذلك لا يعني غياب ما نسميه بالتسامح الديني من النظرة الدينية للإسلام ولا من الممارسة السياسية... ثم يتحدث الكاتب عن الاحترام الكبير الذي يكنه الإسلام والمسلمون للكاتب السماوية، التوراة والإنجيل، واعتبار اليهود والمسيحيين أهل ذمة وعيشهم بين المسلمين بسلام. وينتقل إلى تحليل علاقة أوروبا بالإسلام».

«كان ظهور الإسلام بالنسبة لأوروبا أولاً قضية فيولوجية خطيرة. فهذا الدين الذي ظهر بعد المسيحية وضع نزعاً احتكار مساوية الكتاب المقدس موضع تشكيك بشكل كامل. السؤال الأساسي كان أين يوضع الإسلام من ناحية النيولوجيا المسيحية من ناحية التصنيغ. ألف بوخنا الأخرين. لذا ليلبس كل منهم الخاتم كما لو كان هو الخاتم الحقيقي، وليجهد في إظهار قوته السحرية وليربح بعمل الخير رضا الآخرين كي يروا في خاتمه الخاتم الحقيقي. معاني هذه القصة واضحة. إذ ليست الدوغما (العقيدة) ولا المبدأ هو الأمر المهم، بل الفعل التابع من الإيمان. بذلك تنحصر الخلافات العقائدية إلى المؤخرة متخلفة وراء نظافة القلب ونيل القصد».

(١) كونستانتينابوليس، باليونانية مدينة قسطنطين الإمبراطور البيزنطي، أصبحت تعرف لاحقاً بإسم الأستانة والقسطنطينية وكذلك اسطنبول على عهد العثمانيين، وكلها تنويعات على اسمها الأصلي، كونستانتينابوليس.

التفكير بصوت وقرورة

الحمار... مضطهداً

■ انتهت المهمة الاقتصادية للحمار منذ وقت طويل، في الدول الاقتصادية المتقدمة بالطبع، وإلا فإن الحمار يظل فعالية اقتصادية ذات وزن مهم في كثير من المجتمعات المتخلفة.

حمل الحمار على ظهره أثقال الإنسانية والحضارة عموماً طويلة من الزمن، وجر وراءه أحمالها، ودار مغصّب العينين في سواقيها، وتسلق لاهثاً دروبها الجبلية الوعرة، ومشي صابراً حائني الرأس في سهولها ودروبها وحاراتها.

وعلى رغم المكنة الثقيلة للحمار في تاريخ الحضارة الإنسانية، فغالباً ما تم إهماله وتهميشه عند ذكر الدواب التي رافقت الإنسان واعتمد عليها في حمل أثقاله، وجر أحماله، ومواجهة أعدائه، أو التهاهي بها أمام أصدقائه وأهل زوجته.

استخدم الإنسان الجمال واقتخر به، ورافقه في رحلاته الصحراوية المتوحدة، وأغلت ظهره المرتفع، وانتفخت أوداجه وتيسمت أساريه وهو ينظر إلى الفضاء من حوله، من خلف السنام العالي والمكان الرفيع.

وسخر الإنسان الحصان الجامع، وروضه، وأخضع عنقه الناظر وطباعه الحائشة، خاض على ظهره الحروب، وسابق الريح، واختال عليه في الأقراع واليالي الملاح.

وكان الإنسان للخيل عاشقاً، وأعلن العشق على رؤوس الأشهاد، فسرت بالذكري القصائد والأساطير. وتهاهى الإنسان بالخيل، فاستعرض الصفائف الجياد، واقتخر بها، واعتبرها، مجازاً وحقيقة، من ضمن أفراد عائلته الكريمة.

وزاوج الإنسان بين الحمار والحصان، فانتج البغل، فيه جساماً الحصان وارتفاعه، وصبر الحمار وجلده، وقوة تحمل، وهوانه، وثقلته ورضاءه بالعمل الوضع الذي لا شكر عليه، ولا اعتراف به، ولا ذكر له. وظل البغل يعاني من فقدان الهوية، وضياغ النسب. وتترك هذا الجانب لعلم النفس الحيواني، عندما يجد وقتاً، بعد أن يعالج التوتر النفسي عند كلاب وقطط المجتمع الأمريكي، مثلاً.

الحمار يحمل الأثقال والأسى، ومع ذلك يحتل الطبقة الدنيا والمكانة السفلى في مراتب الحيوان. عبر تاريخ الحضارة.

هناك كاريكاتير قديم نشرته مجلة «صباح الخير» بمناسبة عيد الأضحى، ويصور الكاريكاتير حماراً يشي مع مجموعة من الخرفان، ويعلق الأدمي الجالس في مقبى على الرصيف: انظروا إلى هذا الحمار المغفل، يختار هؤلاء الرفاق البائسين في عيد الذبائح... سيضيع نفسه.

وهكذا الحمار، حتى مع الخرفان لا يخلو من الضغن. فلا أحد ترك الحمار وشأنه، حتى عندما يرضى بمكانته المهيبة، ويمزله الوضيعة، وإنكار مساهماته الحضارية الكبيرة.

الحمار معروف بالغباء والعناد والصوت التكبير، ومع ذلك تم إقحامه عبر التاريخ في مجالات السياسة والفكر والأدب والفولكلور الشعبي، ونسبت إليه حكم وآراء لم يتقوه بها... أو ينقو.

الاستيحاء مع الحمار دائم، والإنكار له والتعريض به مستمران. لا أعرف طبيعة هذه العلاقة الديالكتيكية بين الحمار والإنسان، ولا أظن الحمار يعرف ذلك.

أثور عبدالمجيد الجبرتي